سلسلة أخبار أجواد الصحابة

٦

عبيدالله بن العباس
ابن عبد المطلب رضي الله عنهما

تيّار الفرات

محمد شريف عدنان الصواف

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

محمد شريف عدنان الصواف – الرياض

٥٣ ص، ١٧X ٢٤ سم – (سلسلة أخبار أجواد الصحابة)

ردمك: ٦ – ٧٠٥ – ٢٠ – ٩٩٦٠م

١– عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب ٢– الصحابة والتابعون

أ– العنوان ب – السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/١٨٨٧

ردمك: ٦ – ٧٠٥ – ٢٠ – ٩٩٦٠م رقم الإيداع ١٨٨٧/٢١

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض – العليا – طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

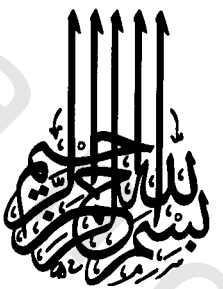

obeikandl.com

obeikandl.com

هذا الرجل

إن عبيد الله بن عباس علّم قريشاً الجود.

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

كان عبد الله بن عباس يسمى (حكيم المعضلات)، وكان عبيدالله بن عباس يسمى (تيار الفرات).

المنذر بن فرقد مولى ابن عباس.

كان أميراً، شريفاً، جواداً، ممدَّحاً.

الإمام شمس الدين الذهبي.

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله الرحمن الرحيم، صاحب الفضل العظيم، الذي عمَّ الخلق بفضله، وأسبغ عليهم عظيم وجليل نعمه، وأجلُّها أن بعث فيهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هادياً مهدياً، وداعياً إلى الحقِّ وسبيل الرشاد، وقد أكرم الله تعالى السلف الأول من الصحابة رضي الله عنهم إكراماً خاصاً ببعثه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم، فشرَّفهم بشرف الصحبة، وخصهم بآيات كريمة أثنى فيها على فعلهم، ومنها قوله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾ [**الفتح** : ٢٩].

ولقد توفي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن جمع كثيرٍ من الصحابة يزيد عن ألف صحابي منهم من لم يرَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا مرّة، ومنهم من صاحبه ولازمه سنوات عدة، وقد عكف المؤرخون والدارسون على سير الصحابة وأخبارهم يدرسونها وينشرونها، وكان جُلُّ إقبالهم على سِير مشاهير الصحابة دون غيرهم، وقد كنت عزمت منذ أول الأمر على إخراج سير من لم يشتهر من الصحابة في هذه السلسلة، إيماناً مني بأهمية هذا العمل وجلالته، وخدمة لأولئك الرجال الذين خدموا رسول الله ﷺ، ودينه، وبذلوا في سبيل ذلك مهجهم، وأرواحهم، وأموالهم، وأولادهم، فاستحقوا منا التعظيم، ومن الله الثواب العظيم إن شاء الله تعالى.

وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، رجلٌ من عظماء أصحاب رسول الله ﷺ ، تجمعت فيه خصال ومآثر عدة، لو اجتمعت إحداها في غيره لاستحق الثناء والتعظيم، وعلى الرغم من ذلك لم أجد – فيما اطلعت عليه – أحداً أفرده بالكتابة والتصنيف، فأرجو الله تعالى أن أكون بعملي هذا قدمت الجديد المفيد، كما أرجو أن يكون متقبلاً عندالله تعالى، إنه سميع مجيُب.

محمد شريف عدنان الصواف

openkandl.com

الفصل الأول
المنبت الطيب والأصل الكريم

قبل البداية في الحديث عن أخبار عبيد الله بن العباس رضي الله عنهما، يجدر بنا أن نقف وقفة قصيرة نتعرف فيها المنبت الطيب الذي نبتت فيه هذه النبتة الطيبة حتى صارت مثمرة مباركة.

والواقع أن الله تعالى قد أكرم عبيد الله بنعمة جليلة، وهي شرف الآباء والأمهات، وقربه من النبي ﷺ، الذي جعله يحظى بنظرات الرضى والعناية منه صلى الله عليه وآله وسلم، فوالده العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه السيد الجليل وعمُّ النبي ﷺ، وأمُّه أمُّ الفضل الهلالية الصحابية السابقة الجليلة، وإخوته السادة الأجلاء الفضلاء، فحسبك بهذه الأسرة وسابقتها في الفضل والشرف، ولنبدأ تعريفاً موجزاً بها.

أولاً: العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه:

السيد الهاشمي، أبو الفضل، عمُّ النبي ﷺ، وصنو أبيه، وكان أسنَّ من النبي ﷺ بسنتين أوثلاث،وكان قد خرج مع النبي ﷺ إلى العقبة ليلة بيعة الأنصار فأخذ له الموثق منهم، وأراد أن يطمئن إلى ما يصير إليه أمر النبي ﷺ وكان مما قاله في خطبته للأنصار:

«إن محمداً منَّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، فهو في عزّ من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده»[1].

خرج يوم بدر مكرهاً مع قريش إلى حرب النبي ﷺ، فأُسِرَ فأمره النبي ﷺ أن يفتدي نفسه، وابني أخويه عقيل بن أبي طالب، ونوفل ابن الحارث، وقيل إنه لما أسر، وشدّ في الوثاق أرق رسول الله ﷺ، وقال: «**إني أسمع أنين العباس في وثاقه فلا أنام**»[2]. وقد رجع إلى مكة، وقيل إنه أسلم قبل رجوعه إلى مكة وكتم إسلامه عن قومه بأمر النبي ﷺ وصار يكتب إلى النبي ﷺ عن أخبار المشركين ثم هاجر قبل الفتح بقليل.

وشهد فتح مكة مع النبي ﷺ، وهاجر إلى المدينة بعد ذلك، وكان رسول الله ﷺ يكرمه، وينزله منزلة الوالد، ويقول: «**إنه بقية آبائي**»[3].

وكان أبو بكر وعمر يجلانه، ويعرفان له قدره، وقد ثبت أن عمر رضي الله عنه خرج بالناس يستسقي وفيهم العباس، فكان مما قاله:

---

(١) (السيرةالنبوية) لابن هشام، ٢/ ٨٤.

(٢) (البداية والنهاية) لابن كثير ٥/ ٢٤٤.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر«مجمع الزوائد» للهيثمي ٩/ ٢٦٩، وقال الحافظ ابن حجر: إنه أسلم يوم بدر، انظر (الإصابة) لابن حجر ٣/ ٦٣١.

«اللهم إنَّا كنَّا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبيك فتسقينا، وإنَّا نتوسل إليك بعمِّ نبينا»[1]

وكان عمر وعثمان إذا مرَّا بالعباس وهما راكبان ترجلا إكراماً له[2]

توفي العباس رضي الله عنه سنة(٣٢) هـ عن (٨٨) سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه ودفن بالبقيع.

وفضائل العباس ومناقبه كثيرة جداً لا يتَّسع لها هذا المقام، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله.

ثانياً: أمُّ الفضل الهلالية رضي الله عنها:

أمّا أمُّ عبيد الله بن العباس فهي السيدة الجليلة أمُّ الفضل، لبابة بنت الحارث بن حزن بن بُجير الهلالية رضي الله عنها، ثاني من أسلم بعد خديجة من النساء، وكانت من فضليات النساء المؤمنات، وهي أخت أمِّ المؤمنين ميمونة، وأخت أسماء بنت عميس، وخالة خالد بن الوليد رضي الله عنهم جميعاً وفيها وفي أخواتها يقول رسول الله ﷺ: «**الأخوات المؤمنات: ميمونة زوج النبي ﷺ، وأم الفضل امرأة العباس، وأسماء بنت عميس امرأة جعفر، وامرأة حمزة**»[3].

أرضعت الحسن بن علي مع ابنها قثم، وروت عن النبي ﷺ نحواً من

---

(١) أخرجه البخاري، ١/ ٣٤٢.

(٢) (البداية والنهاية) لابن كثير ٥/ ٢٤٥.

(٣) (مجمع الزوائد) للهيثمي ٩/ ٢٦٠، وعزاه للطبراني.

ثلاثين حديثاً، وكان النبي ﷺ يكرمها ويزورها توفيت قبل العباس في خلافة عثمان رضي الله عنهما.

إخوة عبيد الله بن العباس رضي الله عنه وعنهم:

أكرم الله تعالى العباس بن عبد المطلب فأخرج من نسله ذرية طيبة، مباركة وأولاداً نجباء ولو أردنا تتبع أخبارهم، وفضائلهم لطال بنا الحديث، ولكننا نسرد أسماءهم وبعض التعريف بهم رضي الله عنهم.

١- **الفضيل بن العباس بن عبدالمطلب**: أبو محمد، وأبو عبد الله، كان أسنَّ ولد العباس، غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وحنيناً، وثبت أمام رسول الله ﷺ، ثم كان معه في حجة الوداع، وأردفه خلفه، وكان فيمن غسَّل رسول الله ﷺ، وتولى دفنه.

شهد فتح الشام واستشهد في طاعون عمواس سنة (١٨)هـ، وقيل في اليرموك سنة (٢٨)هـ.

ليس له عقب إلا ابنته أم كلثوم؛ تزوجها الحسن بن علي ثم أبو موسى الأشعري[١].

٢- **عبد الله بن العباس بن عبد المطلب**: حبر الأمة، وترجمان القرآن الإمام الجليل، روى عن رسول الله ﷺ الكثير، وأخذ الكثير من علمه عن الصحابة.

ولد ورسول الله ﷺ محاصرٌ في الشعب، وحنَّكه رسول الله ﷺ بريقه

(١) (الإصابة) لابن حجر ٣/ ٢٠٨ و (البداية والنهاية) لابن كثير ٥/ ١٧٠.

وخصه رسول الله ﷺ بمزيد عنايته وفضله، ودعا له فقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل**»، وتوفي رسول الله ﷺ، وقد ناهز الاحتلام.

وهو جد الخلفاء العباسيين، وفضائله كثيرة جداً، وعلمه جمٌّ غزيرٌ، توفي رضي الله عنه بالطائف سنة (٦٨)هـ[١].

٣- كثير بن العباس بن عبد المطلب: أمُّه أمُّ ولد، روى عن أبيه وغيره وكان فقيهاً، جليلاً، صالحاً[٢].

٤- قُثم بن العباس بن عبدالمطلب: وهو شقيق عبيد الله، وعبد الله، له صحبة، وأردفه النبي ﷺ، وهو آخر من خرج من قبر رسول الله ﷺ عند دفنه.

استعمله عليٌّ رضي الله عنه والياً على مكة فبقي كذلك حتى قتل عليٌّ.

خرج زمن معاوية ـ رضي الله عنه ـ في جيش لفتح خراسان بإمرة سعيد ابن عثمان بن عفان، فافتتحوها، واستشهد قثم بسمرقند وقبره بها[٣].

هذا ولعبيد الله بن العباس ﷺ إخوة آخرون نكتفي بمن ذكرنا منهم، لبيان شرف منبته وأصله.

---

(١) وقد جمع أستاذنا الدكتور مصطفى سعيد الخن نبذاً في أخباره وعلمه وفقهه في كتاب صدر عن دار القلم بدمشق، وانظر (البداية والنهاية) لابن كثير ٦/ ٥٣-٥٥.

(٢) (سير أعلام النبلاء) للذهبي ٣/ ٤٤٣، و (الطبقات الكبرى) لابن سعد ٤/ ٦.

(٣) (سير أعلام النبلاء) للذهبي ٣/ ٤٤٠-٤٤٢.

obeikandl.com

الفصل الثاني
ولادته رضي الله عنه ونشأته في رعاية النبي ﷺ

ولد عبيد الله رضي الله عنه قبل الهجرة بسنتين فهو أصغر من أخيه عبدالله بعام، وتوفي رسول الله ﷺ وهو دون الاحتلام[1].

وعلى الرغم من قصر المدة التي أدرك فيها عبيد الله النبي ﷺ إلا أنه كان قريباً منه، وحظي منه برعاية وعناية، وقد نقل الإخباريون لنا مشاهد من حياته مع النبي ﷺ منها ما رواه عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال: **لقد رأيتني، وقثماً، وعبيد الله بن عباس نلعب، إذ مر بنا النبي ﷺ على دابته، فقال: «ارفعوا إليَّ هذا»، فحملني أمامه، وقال لقثم: «ارفعوا إليَّ هذا» فحمله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم فما استَحَى من عمِّه أن حمل قثماً وتركه**[2].

وكان النبي ﷺ يكرم ولد العباس إكراماً لعمه رضي الله عنه، ويلاعبهم ويلاطفهم، ومن ذلك ما روي من أنه ﷺ كان يصف عبدالله وعبيد الله، وكُثيِّراً بني العباس، ويقول: «**من سبق إلي فله كذا**» فيسبقون على ظهره، وصدره، فيقبلهم،ويلتزمهم[3].

وفي رواية عن كثير بن العباس – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله

---

(١) (سير أعلام النبلاء) للذهبي ٣/ ٣٣٥-٥١٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/ ٢٠٥.

(٣) مسند الإمام أحمد.

ﷺ يجمعنا أنا، وعبد الله، وعبيد الله، وقثم، فيفرج يديه هكذا، ويمدُّ باعيه ويقول: «**من سبق إليَّ فله كذا وكذا**»(١).

وروي أنه ﷺ قال: «**اللهم استر العباس وولده من النار**»(٢).

وهكذا فإن هذه الصور تبين لنا مكانة عبيد الله وإخوته من بني العباس عند النبي ﷺ، وأثر ذلك في نجابتهم رضي الله عنهم وعن أبيهم.

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٧٦.

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك) ٣/ ٣٢٦، وصححه، وتعقبه الذهبي بأن في إسناده ضعفاً.

obeikandl.com

الفصل الثالث
أخباره رضي الله عنه مع ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم

كان عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقرَّباً إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيراً لأسباب كثيرة منها أنه ابن عمه، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجلُّ عمَّه العباس كثيراً، وكما أن أسماء بنت عميس رضي الله عنها خالة عبيد الله كانت زوجة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن توفي زوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنهم، وهكذا. وقد رويت أخبار لعبيد الله مع علي تدل على المنزلة العظيمة التي كان يعرفها له.

ومن ذلك أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تولَّى الخلافة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استعمل ابن عمه عبيد الله بن العباس على اليمن، وكان يجعله أميراً على الحجِّ فحجَّ بالناس سنة (٣٦) و (٣٧)، وأمره أن يحج بالناس سنة (٣٩) إلا أن معاوية أرسل أميراً على الحجيج من طرفه أيضاً، فاصطلح الناس على أن يكون أمير الحج شيبة بن عثمان بن أبي طلحة[١].

وفي سنة (٤٠)هـ أرسل معاوية بسر بن أرطأة أميراً على اليمن فهرب

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٧٧.

عبيد الله منها، فلما دخل بسر أخذ ولدي عبيد الله، وكانا صغيرين كالدُّرتين فقتلهما ظلماً وعدواناً، بغير حقٍ، فبعث عليٌ رضي الله عنه جارية بن قدامة السعدي يقاتل بسراً فهرب بسرٌ ورجع عبيد الله وبقي أميراً على اليمن حتى قُتل علي رضي الله عنه [1].

ولما توفي علي رضي الله عنه بايع أصحابه ولده الحسن بن علي، وكان الحسن رضي الله عنه يؤثر الصلح وجمع كلمة المسلمين، وكان أمير جيش علي قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، وكان يريد قتال أهل الشام، ومعه أربعون ألفاً بايعوا على الموت، فعزله الحسن، وولى عبيد الله على إمرة الجيش، وسبق معنا أن أمَّ الفضل امرأة العباس أرضعت الحسن بن علي مع ولدها قثم فصار الحسن أخا عبيد الله وإخوته.

ثمَّ إن عبيد الله رضي الله عنه دخل على معاوية بعد أن استقام له الأمر، وكان قد عزل بسر بن أرطأة عن اليمن، فقال عبيد الله: يا أمير المؤمنين، إن بسراً قتل ابنيَّ ظالماً لهما، ولو أنه أصاب ابنيك على الوجه الذي أصاب ابنيَّ عليه قتلهما، ولو ولينا من أمره ما وليت أقدناكه؛ فأقدنيه[2] بابنيَّ، وايم الله إني في ذلك لكما قال امرؤ القيس الكندي في قاتل أبيه:

وقد يشفي الضغينة غيرُ كفءٍ ... وقد يملا الوطاب من الحباب[3]

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٧٧.

(٢) القود: القصاص، وأقدنيه: اقتصَّ لي منه.

(٣) الوطاب: سقاء اللبن، والحباب: الماء الكثير.

وكما قال عمر بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش فيمن قتل خاله:

إن أقتلكَ لا أقتلكَ إلا بحاجة أو أترككَ لا أتركَ إلا تكرماً

ولقد علمت قريش أني غير هش المشاشة، ولا مريء المأكلة، وإن أوَّلنا ساد أوَّلكم، وإن آخرنا هدى آخركم، فإن كنت أمرت بسراً بقتل ابنيَّ خلينا عنه وطالبناك، وإن كنت لم تفعل خليناك وطلبناه، وأيم الله لولا أنه لا فتك في الإسلام لما سألناك استقادة بسر.

فقال معاوية: يا عبد الله، إن بسراً قتل ابنيك ظلماً لهما، فاقتل ابنيه بابنيك فدونك الرجل، وأما قولك: إنك غير هش المشاشة، ولا مريء المأكلة، فكذلك بنو عبد مناف، وقريش بعضها كفء بعض، عرض بعرض، ودمٌ بدم، ولا والله ما أمرته بقتلهما، ولا عزلته إلا لهما، ولو أمرته لاعتذرت إليك، وطلبك بسراً أهون علي من طلبي، ولقد ساد أوُّلكم، وهدى أخرُكم، فإن يك لنا مع سيدكم سيدٌ، فليس لنا مع هاديكم هادٍ!.

ثم أنشأ عبيد الله يقول:

يا بن صخر، وابن حرب تبيَّن من تقيسون بعبد المطلب
من إذا رأت قريشٌ وجهه عظموا المرء وخروا للرّكب
صاحب الفيل وساقي زمزم ثمت الفدية رأسٌ في العرب
وهدى آخرنا آخركم فبه الملك لكم أجرى الحقب

إن بسراً قتل ابنيَّ وما ... بين بسرٍ وبني فهرٍ نسب
فاقتل العبد بفرخي هاشم ... إن هذا من بواء للعجب
اجعل الفضة فينا ذهباً ... ونضار القوم فينا كالغرب
لا يقرُّ العين إلا قتل من ... سبب القتل وللقتل سبب

فقال معاوية:

يا عبيد الله إني حاملٌ لك ... ما قد كان من تلك الخطب
أنت علمت قريشاً جودها ... أدبٌ منك وللجود أدب
ليس تمريك قريشٌ كلها ... إن خير القوم عبد المطلب
ثم ما تحوي جميعاً كله ... كان للأمي، أميُّ العرب
إن بسراً قتل ابنيك على ... غير جرمٍ قاطعاً منك النسب
أنزل الله ببسرٍ بأسه ... وعلى بسرٍ من الله غضب
اضرب العبد على يافوخه ... ضربة تذهبُ منه ما ذهب[1]

وكان معاوية رضي الله عنه يثني على عبيد الله كثيراً، ومما كان يقول فيه:

لله درُّ عبيد الله، من أي بيضة خرج، ومن أي عشّ درج، معلم الجود، وهو والله كما قال الحطيئة:

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٧٧-٤٨٠.

أولئك قــوم إن بنو أحــسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كـانت النعــمى عليـهم جـزوا وإن أنعموا لا كدَّروها ولا عدُّوا[1]

كما كان يصله كل عام بمالٍ كثيرٍ معونة له على برِّه وجوده.

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٦.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
من أخبار عبيد الله مع الحسن والحسين وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهم

كان عبيد الله – رضي الله عنه – أكبر من الحسن والحسين بسنوات تقارب الثلاثة، وكان عبد الله بن عباس أكبر من أخيه عبيد الله بسنة، فنشؤوا – رضي الله عنهم – في رعاية النبي ﷺ ثم في رعاية علي والعباس، وكان ولد علي رضي الله عنه قريبين من ولد العباس، فقد أرضعت أم الفضل – امرأة العباس – الحسن رضي الله عنه مع ابنها قُثم. روى الإمام أحمد عن أم الفضل– رضي الله عنها – قالت: رأيت أن عضواً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي فجزعت من ذلك؛ فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «**خيراً، تلد فاطمة غلاماً فتكفلينه بلبن ابنك قثم**». فولدَتْ فاطمة الحسن فأرضعتُه[1].

وقد وردت لعبيد الله مع من ذكرنا أخبارٌ تدل على منزلته لديهم، فقد كان عبيد الله يعرف لأخيه عبد الله قدره وفضله، ومنزلته في العلم فيأخذ عنه، ويطيعه، فقد روى ابن جريح عن عطاء أن عبدالله بن عباس دعا أخاه عبيد الله يوم عرفة إلى طعام، فقال: إني صائم! فقال عبد الله: إنكم أئمة

(١) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٣٣٩.

يقتدى بكم، قد رأيت رسول الله ﷺ دعا بحلاب في هذا اليوم فشرب، ونهاه عن الصيام[1].

وكان يعينه على نشر علمه، ويكرم من يأخذ عنه، فقد روى غير واحد من الأئمة أن عبدالله وعبيد الله كانا إذا قدما مكة أوسع عبدالله أهلها علماً، وأوسعهم عبيد الله طعاماً[2].

وروى الزبير بن بكار قال: دخل أعرابيٌّ دار العباس بن عبدالمطلب وفي جانبها عبد الله بن عباس لا يرجع في شيء يسأل عنه، وفي الجانب الآخر عبيد الله يطعم كل من دخل، قال: فقال الأعرابي: من أراد الدنيا والآخرة، فعليه بدار العباس بن عبدالمطلب، هذا يفتي الناس، وهذا يطعم الناس.

وكذلك أيضاً كان حالهم في المدينة، فقد قال الواقدي: سمعت عمِّي يقول: كان يقال في المدينة من أراد العلم، والسخاء، والجمال، فليأت دار العباس بن عبدالمطلب، أما عبد الله فكان أعلم الناس، وأما عبيد الله فكان أسخى الناس، وأما الفضل فكان أجمل الناس[3].

وكان عبيد الله شديد الإكرام لأخيه عبد الله ومن صور ذلك ما روي من أن عبد الله وعبيد الله اقتسما داراً فأتيا بغلام يقسمها بينهما ويقيسها بحبل، فقال عبد الله: يا غلام، أقم حبلك، فقال عبيد الله: يا غلام، دع لأخي ذراعاً.

---

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٠.

(٢) (تهذيب الكمال) للمزي ١٩/ ٦١، (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٧٣.

(٣) (تهذيب الكمال) للمزي ١٩/ ٦١-٦٢، (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٠.

فقال عبيد الله: دع لأخي ذراعين.

فقال عبدالله: يا غلام، إن أخي قد ترك لي ذراعين، فأقم حبلك.

فقال عبد الله: يا أخي، كأنك تحبُّ أن تكون الدار كلها لك؟

قال: نعم.

قال: فهي لك كلها[1].

وكان يكرم أخويه الحسن والحسين كما يكرم أخاه عبد الله، فقد روي أن الحسين ضاقت عليه حاله، فقيل له: لو وجَّهت إلى ابن عمك عبيد الله، فإنه قد قدم بنحو ألف ألف درهم، فقال الحسين: وأين تقع ألف ألف من عبيد الله؟ فو الله لهو أجود من الريح إذا عصفت، وأسخى من البحر إذا زخر، ثم وجَّه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه ضيق حاله، وأنه يحتاج إلى مئة ألف درهم.

فلما قرأ عبيد الله كتابه – وكان من أرق الناس قلباً وألينهم عطفاً – انهملت عيناه، ثم قال لخادمه: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابّة، وأخبره أني شاطرته مالي، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع، واحمل إليه الشطر الآخر.

فقال له الخادم: فهذه المؤن والالتزامات التي عليك من أين تقوم بها؟

فقال: إذا بلغنا ذلك دللتك على أمرٍ يقيم حالنا.

---

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٤.

فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين، قال: إنا لله، حملت - والله- على ابن عمي، وما حسبته يتّسع لنا بهذا كله، وكان عبيد الله أول من شاطر أخاً له ماله في الإسلام[1].

(١) (العقد الفريد) لابن عبد ربه ١/ ٣١٥.

obeikandl.com

الفصل الخامس
أخبار عبيد الله بن عباس في الجود والسخاء

ينتسب عبيد الله إلى أسرة عريقة في الجود والكرم، فقد عُرف بنو هاشم بالسخاء واشتهروا به حتى قيل: **إن لم يكن الهاشمي جواداً فلم يشبه آباءه**[1].

وقد كان **هاشم** من أجواد العرب، له جِفانٌ كبارٌ يطعم بها قومه، وإنما سمِّي هاشماً لأنه كان أول من هشم - فتَّ - الثريد وأطعم قومه، وكانت إليه السقاية والرفادة، وكان يطعم حجَّاج البيت الحرام في الموسم وهو ما يسمى (الرفادة)[2].

وفيه قال الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسنِتُون عِجاف[3]

ثم ولي الرفادة بعد هاشم أخوه المطلب ثم عبد المطلب بن هاشم، ثم الزبير بن عبدالمطلب، ثم أبو طالب، ثم العباس والد عبيد الله، وكان العباس رضي الله عنه من أجواد العرب، وله في الجود أخبار، وكان يأمر ابنه عبيد الله بالجود

---

(١) (ثمار القلوب) للثعالبي ١١٧.

(٢) (السيرة النبوية)ابن هشام ١/ ١٤٣، و (السيرة النبوية) لابن جرير ٣٣.

(٣) المسنتون: الذين أصابتهم السنة المجدبة. انظر (السيرة النبوية) لابن جرير ٣٣.

كما سيأتي معنا، وقد شهد له النبي ﷺ بذلك فقال: «**هذا العباس عمُّ نبيكم، أجود قريشٍ كفاً، وأوصلها**»[1] وقال الزبير بن بكار: كان للعباس ثوبٌ لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم، ومنظرة لجاهلهم[2].

وهكذا فقد ورث عبيد الله الجود والسخاء كابراً عن كابر، وكان فيه فطرة وسجية، فكان من أجواد العرب، ورويت عنه في الجود أخبارٌ كثيرة، قال ابن عبد ربه: أمَّا أجواد الإسلام فأحد عشر رجلاً في عصرٍ واحدٍ لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم:

فأجواد الحجاز ثلاثة: عبيد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وسعيد ابن العاص[3].

ونذكر فيما يأتي بعض ما روي من أخبار جوده وكرمه:

فمن ذلك أن رجلاً جاء إلى عبيد الله بن العباس وهو بفناء داره، فقام بين يديه، فقال: يا بن عباس، إن لي عندك يداً، وقد احتجت إليها، فصعَّد عبيد الله فيه بصره، فلم يعرفه، ثم قال له: ما يدك عندنا فإني لا أثبتك؟ قال: رأيتك واقفاً بزمزم، وغلامك ينضح لك من مائها، والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف ردائي حتى شربت.

---

(١) (سير أعلام النبلاء) الذهبي ٢/ ٩١، والحديث أخرجه الحاكم في (المستدرك)/ ٣٢٨، وصححه ووافقه الذهبي، والهيثمي في (مجمع الزوائد) ٩/ ٢٦٨، وعزاه للبزار، والطبراني، وأبي يعلى.

(٢) (سير أعلام النبلاء) للذهبي، ٢/ ٨٠. والمنظرة: حبلٌ يؤدَّب به.

(٣) (العقد الفريد) لابن عبد ربه ١/ ٢٣٨.

قال: أجل إني لأذكر ذلك، وإنه ليتردد بين خاطري وفكري.

ثم قال لقيِّمه: ما عندك؟

قال: مئتا دينار وعشرة آلاف درهم.

قال: ادفعها كلها إليه، وما أراها تفي بحقه عندنا.

فقال له الرجل: والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيك ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ، ثم شفعه بك وبأبيك![1].

ومنها ما ذكر أن معاوية رضي الله عنه أهدى إلى عبيد الله بن العباس وهو عنده بالشام من هدايا النيروز حللاً كثيرة، ومسكاً، وآنية من ذهب وفضة ووجهها مع حاجبه، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها، فقال: هل في نفسك منها شيء؟

قال: نعم والله، إن في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف.

فضحك عبيد الله، وقال: فشأنك فهي لك.

قال: جعلت فداك، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد عليَّ.

قال: فادفعها إلى الخازن، فإذا حان خروجنا من الشام حملها إليك ليلاً فقال الحاجب: والله إن هذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم، لوددت أني لا أموت حتى أراك مكانه – يعني معاوية–.

---

(١) (المستجاد من فعلات الأجواد) للتنوخي ١٧٠، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه ١/ ٢١٤.

فقال عبيد الله: دع عنك هذا، فإن له علينا بيعة، وإنَّا قوم نفي بما وعدنا، ولا ننقض ما أكدنا[1].

وذكر أن سائلاً أتاه وهو لا يعرفه، فقال له: تصدَّق عليَّ بشيء، فإني نبئت أنَّ عبيد الله بن العباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه.

فقال عبيد الله: وأين أنا من عبيد الله بن العباس!.

فقال الرجل: أين أنت منه في الحسب أم في الكرم؟

قال: فيهما جميعاً.

قال: أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله، وإذا شئتَ فعلتَ وإذا فعلتَ كنت حسيباً.

فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه من ضيق نفقته.

فقال له السائل: إن لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه، وإن كنت إياه، فأنت اليوم خير منك أمس.

فأعطاه ألفاً أخرى، فقال له السائل: هذه هزةُ كريمٍ حسيب[2].

ومن جوده أيضاً أنه جاءه رجل من الأنصار فقال: يا ابن عم رسول الله ﷺ، إنه ولد لي في هذه الليلة مولودٌ، وإني سميته باسمك تبركاً، وإن

(١) (المستجاد من فعلات الأجواد) التنوخي ١٧٤، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه ١/ ٣١٥.

(٢) (المستجاد من فعلات الأجواد) التنوخي ١٨١، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه ١/ ٣١٦.

أمه ماتت، فقال عبيد الله: بارك الله لك في الهبة، وأجزل لك الأجر على المصيبة ثم دعا بوكيله، فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع إليه مئتي دينار للنَّفقة على تربيته، ثم قال للأنصاري: عد إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا وفي العيش يبسٌ، وفي المال قلة، فقال الأنصاري: لو سبقت حاتماً بيومٍ واحدٍ ما ذكرته العرب أبداً، ولكنه سبقك فصرت له تالياً، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده، وأن طلَّ كرمك أكثر من وابله[1].

وعبيد الله هو أول من فطَّر جيرانه، وأول من وضع الموائد على الطرق وأول من حيَّا على طعامه وفيه يقول شاعر المدينة:

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً ... وحلواً ولحماً تامكاً وممزعاً[2]
وأنت ربيع لليتامى وعصمة ... إذا المحل من جو السماء تطلعاً
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمةً ... وغوثاً ونوراً للخلائق أجمعا[3]

وقيل: كان عبيد الله ينحر كل يوم غدوةً ويطعم الناس، حتى قدم المدينة فقال له أبوه العباس: يا بنيَّ مالك تُغدِّي ولا تعشي!! إذا غدَّيت فعشِّ، فقال عبيد الله لغلام يقال له بند: يا بند انحر غدوة، وانحر عشية، وعن أسماء بن جويرة، أن عبيد الله بن العباس كان ينحر كل يوم جزوراً، فقال له

(١) (العقد الفريد) لابن عبد ربه ١/ ٣١٦.
(٢) التامك: اللحم السمين والممزع: اللحم المقطع.
(٣) (العقد الفريد) لابن عبد ربه ١/ ٣١٦.

عبد الله: تنحر كل يوم جزوراً!! فقال: وكثير ذلك يا أخي، والله لأنحرنَّ كل يوم جزورين[1].

وعن أبي الزناد وقد قيل له: أي هؤلاء الثلاثة أسخى؟ عبدالله بن جعفر، أو الحسن بن علي، أو عبيد الله بن العباس؟

فقال: ما رأينا أحداً أعطى الجزيل مثل الحسن، وما رأينا أحداً أعطى الجزيل وغير الجزيل مثل عبد الله بن جعفر، وما مررنا بأبيات عبيد الله بن عباس في ساعة قط إلا ورأينا عنده قوتاً رطباً، قال: وكان ينحر كل يوم جزوراً في مجزرته حتى سميت مجزرة ابن عباس، قال: فقلَّت الجزر حتى بلغت خمسة عشر ديناراً، وعشرين ديناراً، فعاتبه عبد الله بن جعفر على ذلك،وقال: لا يقوم لهذا مالٌ، والله لا أدع ذلك أبداً[2].

وروى الإمام أبو بكر بن أبي الدنيا قال: تفاخر رجلان من قريش، رجلٌ من بني هاشم، ورجلٌ من بني أمية، فقال هذا: قومي أسخى من قومك وقال هذا: قومي أسخى من قومك. وقال: سل في قومك العطاء حتى أسأل في قومي، وافترقا على ذلك.

فسأل الأموي عشرة من قومه، فأعطوه مئة ألف، عشرة آلاف؛ عشرة آلاف، وجاء الهاشمي إلى عبيد الله فسأله فأعطاه مئة ألف، ثم أتى الحسن

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨١.
(٢) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٢.

ابن علي فسأله فأعطاه مئة وثلاثين ألفًا، ثم أتى الحسين فسأله، فقال له الحسين: هل سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، أخاك الحسن فأعطاني مئة وثلاثين ألفاً، فقال: لو أتيتني قبل أن تأتيه أعطيتك أكثر من ذلك؛ ولكن لم أكن لأزيد على سيدي، فأعطاه مئة وثلاثين ألفاً.

قال أبو بكر: فجاء الأموي بمئة ألف من عشرة، وجاء الهاشمي بثلاثمائة وستين ألفاً، ففاز الهاشمي، وفخر على الأموي، فرجع الأموي إلى قومه وأخبرهم الخبر، وردَّ عليهم المال فقبلوه، ورجع الهاشمي إلى قومه وأخبرهم الخبر وردَّ عليهم المال، فأبوا أن يأخذوه، وقالوا: لم نكن لنأخذ شيئاً أعطيناه[1].

وعن أبان بن عثمان بن عفان قال: أراد رجلٌ بالمدينة أن يسوء عبيد الله ابن العباس بن عبد المطلب، فجعل يأتي وجوه أهل المدينة فيقول: قال لكم عبيد الله بن العباس: تغدوا اليوم عندي، فجاء الناس حتى ملؤوا عليه الدار، وعبيد الله غافل فقال: ما شأن الناس؟ قالوا: قد جاءهم رسولك أن يتغدوا عندك، فعلم ما أريد به، فأمر بالباب فأغلق عليهم، وأرسل إلى السوق في أنواع الفاكهة، والعسل فاشتغلوا بها، وأمر بالأطعمة فطبخت وشويت، فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أتوا الطعام حتى صدروا عنه، فقال عبيد الله. ما

(١) (تهذيب الكمال) للمزي ١٩/ ٦٢، ٦٣، و (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٧.

أبالي من أتاني، فليتغدَّ هؤلاء عندنا كل يوم[1].

وعن أبي بكر البيهقي قال: قدمت امرأة إلى البصرة في سنة شهباء، ومعها ابناها فلم يأت عليهما الحول حتى ماتا، فدفنتهما، وقعدت بين قدميهما فقالت:

فلله عيناي اللذان أراهما ... قريبين مني والمزار بعيد
هما تركا عينيَّ لا ماء فيهما ... وشكًّا سواد القلب فهو عميد
مقيمان بالبيداء لا يبرحانها ... ولا يسألان الرَّكب أين يريد

فقيل لها: لو أتيت عبيد الله بن العباس فقصصت عليه القصة، فأتته، فقالت له: يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ، إني أصبحت لا عند قريب يحميني، ولا عند عشيرة تؤويني، وإني سألت عن المرجى سببه المأمول نائله، المعطى سائله، فأرشدت إليك، فاعمل بي واحدة من ثلاث، إما أن تقيم أودي، أو تحسن صلتي، أو تردَّني إلى أهلي، فقال عبيد الله: كلٌّ يُفعل بك[2].

وروي أن عبيد الله خرج في سفر له، ومعه مولى له حتى إذا كان في بعض الطريق وقع لهما بيت أعرابي، وأصابهما المطر، فقال لمولاه: لو أنَّا مضينا فنزلنا بهذا البيت وبتنا به. فمضوا إليه، وكان عبيد الله رجلاً جميلاً جهيراً فلما رآه الأعرابي أعظمه، وقال لامرأته: لقد نزل بنا رجلٌ شريفٌ،

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٢.
(٢) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٣.

وأنزله الأعرابي، ثم أتى امرأته فقال: هل من عشاء لضيفنا هذا؟ فقالت: لا، إلا هذه الشويهة التي حياة ابنتك من لبنها، قال: لا بد من ذبحها، قالت: أفتقتل ابنتك؟ فقال: فأخذ الشفرة والشاة وهو يقول:

يا جـــــارتي لا توقظي إن توقظيها تنتحب عليَّهْ
وتنزع الشفرة من يدَّيه أبغض بهذا، وبذا إليَّهْ

ثم ذبح الشاة وأنضجها، وعبيد الله يسمع كلامه، ثم أتى بها عبيد الله وخادمه، وباتا عنده، فلما أرادا الرحيل قال عبيد الله لمولاه: هل معك شيء قال: نعم، خمسمئة دينار فضلت من نفقتنا، قال: ادفعها إلى الأعرابي قال: سبحان الله، أتعطيه خمسمئة دينار، وإنما ذبح لك شاة ثمنها خمسة دراهم، قال: ويحك، والله لهو أسخى منا وأجود، إنما أعطيناه بعض ما نملك، وجاد علينا، وآثرنا على ابنته، ومهجة نفسه.

ثم إن عبيد الله سار إلى معاوية فوصله، وقضى حوائجه، فلما انصرف عائداً مرَّ على الأعرابي، فإذا به عنده إبلٌ، وشاء كثير، فلما رأى الأعرابي عبيدالله ،أقبل عليه يقبل أطرافه وقال: لقد مدحتك ولا أدري من أي خلق الله أنت، ثم أنشده:

توسَّمته لمَّا رأيت مهابةً عليه وقلت: المرءُ من آل هاشم
فقمت إلى عنزٍ بقية أعنز فأذبحها فعل امرئ غير نادم

فـــعـــوَّضني منهـــا غناي وإنما ... ســاوى عناقي غـيـر خـمس دراهم
أفـدتُ بهـا ألفـاً من الشـاء حُلَّبـاً ... وعـبـداً وأنثى بعـد عـبـد وخـادم
مـبـاركـةً من هاشـمي مـبـارك ... خـيـار بني حـواء من نسل آدم
فلله عـــينا من رأى لـعنيـــزةً ... أفادت وراثت بعـد عـسرٍ قـوادمي
فقلت لعرسي في الخلاء وصبيتي: ... أحق ترى هذا أم أحـــلام نـائم؟
فـقـالوا: جـمـيـعاً: لا بل الحقُّ هذه ... يخب بهـا الركـبـان وسط المواسم
بخـمس مـئين من دنانيـر عـوَّضت ... من العنز ما جادت بها كف آدمي[1]

ومما روي من أخبار جوده أنه نزل منزلاً في طريقه من الشام إلى الحجاز فطلب غلمانه طعاماً في ذلك المنزل فلم يجدوا ما يكفيهم، وكان قد مرَّ به زياد بن أبي سفيان أو عبيد بن زياد في جمع عظيم فأتوا على ما فيه، فقال عبيد الله لوكيله: اذهب في هذه البرِّية فلعلك أن تجد راعياً أو تجد أخبية فيها لبنٌ أو طعام، فمضى القيّمُ ومعه غلمانٌ إلى عجوز في خباء فقالوا لها: هل عندك من طعام نبتاعه منك؟

قالت: أما طعامٌ أبيعه فلا، ولكن عندي ما بي حاجة إليه، ولبنيَّ.

قالوا: وأين بنوك؟

قالت: في رعي لهم وهذا أوان أوبتهم.

قالوا: فما أعددت لهم ولك؟

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر، ٣٧، ٤٨٤ - ٤٨٦، و(أعيان الشعية) للأمين ٨/ ١٣٤.

قالت: خبزة، وهي تحت ملّتها أنتظر بها أن يجيئوا.

قالوا: فما هو غير ذلك؟

قالت: لا.

قالوا: فجودي لنا بنصفها.

قالت: أما النصف فلا أجود به، ولكن إذا أردتم الكلَّ فشأنكم بها.

قالوا: فلم تمنعين النصف، وتجودين بالكلّ؟!.

قالت: لأن إعطاء الشطر نقيصة، وإعطاء الكل فضيلة، فأنا أمنع ما يضعني، وأمنح ما يرفعني.

فأخذوا الخبزة،ولم تسألهم من هم، ولا من أين جاؤوا، فلما أتوا بها عبيدالله وأخبروه بقصة العجوز عجب وقال: ارجعوا إليها فاحملوها إليَّ الساعة.

فرجعوا، وقالوا: انطلقي نحو صاحبنا فإنه يريدك.

قالت: ومن هو صاحبكم، أصحبه الله السلامة؟

قالوا: عبيد الله بن العباس.

قالت: ما أعرف هذا الاسم، فمن بعد العباس؟

قالوا: العباس عمُّ رسول الله ﷺ.

قالت: هذا وأبيكم الشرف العالي ذروته، الرفيع عماده، أبو هذا عمُّ رسول الله؟

قالوا: نعم.

قالت: عمٌّ قريبٌ، أم عمٌّ بعيد؟

قالوا: هو صنو أبيه، وهو عصبته.

قالت: وماذا يريد.

قالوا: يريد مكافأتك وبرَّك.

قالت: لقد أفسد الهاشمي بعض ما أسس له ابن عمه، والله لو كان ما فعلت معروفاً ما أخذت مكافأته، فكيف وإنما هو شيء يجب على الخلق أن يشارك بعضهم فيه بعضاً؟

قالوا: فانطلقي، فإنه يحب أن يراك.

قالت: قد تقدم منكم ما لا أجد نفسي تسخو بالحركة معه.

قالوا: فأنت بالخيار إن بذل لك شيئاً بين أخذه أو تركه، قالت: لا حاجة لي بشيء من هذا.

قالوا: فلا بد من أن تنطلقي إليه.

قالت: فإني لا أنهض عن كرهٍ إلا لأرى وجهاً هو من آل بيت المصطفى ﷺ.

فحملوها على دابة من دوابه، فلما صارت إليه سلَّمت عليه فردَّ عليها السلام، وقرَّب مجلسها، وقال لها: ممن أنت.

قالت: أنا من كلب.

قال لها: فكيف حالك؟

قالت: أجد الفائت وأستمريه، وأهجع أكثر الليل، وأرى قرة العين من ولدٍ بارٍّ وكنةٍ رضية، فلم يبق في الدنيا شيء إلا وقد وجدته وأخذته.

قال: ما أعجب أمرك كله، أخبريني ما ادَّخرت لبنيك إذا عادوا؟ قالت: ما قال حاتم طيء:

ولقـــد أبيت على الطوى وأظله حـــتى أنال به كـــريم المأكل

فازداد منها عبيد الله تعجباً، وقال: أرأيت لو انصرف بنوك وهم جياعٌ ولا شيء عندك، ما كنت تصنعين بهم؟

قالت: يا هذا لقد عظمت هذه الخبزة في عينك، حتى أن صرت تكثر فيها مقالك، وتشغل بذكرها بالك، أُلهُ عن هذا وأشباهه فإنه يفسد النفس، ويؤثر في الحسن.

فازداد تعجباً منها، ثم قال لغلامه: انطلق إلى فنائها؛فإذا أقبل بنوها فجئني بهم.

فقالت: أما إنهم لا يأتوك إلا بشريطةٍ.

قال: وما هي؟

قالت: لا تذكر لهم ما ذكرته لي، فإنهم شباب أحداث تحركهم الكلمة ولا آمن بوادرهم إليك، وأنت في هذا البيت الرفيع، والشرف العالي، فإذا نحن من أشر العرب جواراً، فازداد عبيد الله تعجباً. وقال: سأفعل ما أمرت به.

فقالت العجوز للغلام: انطلق، فاقعد بحذاء الخباء الذي رأيتني في ظله فإذا أقبل ثلاثة، أحدهم دائم الطرف نحو الأرض، قليل الحركة، كثير السكون، فذاك الذي إذا خاصم أفصح، وإذا طلب أنجح، والآخر دائم النظر، كثير الحذر له أبهة، قد كملت من حسبه، وأثرت من نسبه، فذاك الذي إذا قال فعل، وإذا ظلم قتل، والآخر كأنه شعلة نار، وكأنه يطلب الخلق بثأر فذاك الموت المائت، هو -والله- والموت قسمان،فاقرأعليهم سلامي، وقل لهم: تقول لكم والدتكم، لا يُحدِثنَّ أمراً حتى تأتوها.

فانطلق الغلام فلما جاء الفتية أخبرهم فما قعد قائمهم ، ولا شدَّ جمعهم حتى تقدموا سراعاً، فلما دنوا من عبيد الله، ورأوا أمهم سلموا، فأدناهم عبيد الله من مجلسه، وقال: إني لم أبعث إليكم، ولا إلى أمِّكم لما تكرهون.

قالوا: فماذا بعد هذا؟

قال: أحب أن أصلح من أمركم، وألمَّ شعثكم.

قالوا: إن هذا قلَّ أن يكون إلا عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم.

قال: ما هو لشيء من ذلك، ولكني جاورتكم في هذه الليلة، وخطر ببالي أن أضع بعض مالي فيما يحب الله عز وجل.

قالوا: يا هذا، إن الذي يحب الله عز وجل، لا يحب لنا، إنا لفي خفض من العيش، وكفاف من الرزق، فإن كنت هذا أردت فوجهه نحو من يستحقه وإن كنت أردت النوال مبتدأ لم يتقدمه سؤال، فمعروفك مشكور، وبرُّك مقبول.

فأمر لهم عبيد الله بعشرة آلاف درهم، وعشرين ناقة، وحوَّل أثقاله إلى البغال، والدوابِّ، وقال: ما ظننت أنَّ في العرب والعجم من يشبه هذه العجوز وهؤلاء الفتيان.

فقالت العجوز لفتيانها: ليقل كل واحدٍ منكم شيئاً من الشعر في هذا السيد الشريف، ولعلِّي أعينكم:

فقال الكبير:

شهدت عليك بطيب الكلام وطيب الفعال، وطيب الخبر

وقال الأوسط:

تبرعت بالجود قبل السؤال ... فعال كريمٍ عظيم الخطر

وقال الأصغر:

وحقَّ لمن كان ذا فعله ... بأن يسترق رقاب البشر

وقالت العجوز:

فعمَّرك الله من ماجدٍ ... ووقِّيت سوء الردى والحدر[1]

فانظر كيف كان الناس على فطرة الخير يفعلون المعروف مع من لا يعرفونه، لا يبتغون من ذلك مكافأته لهم، وكيف كانوا يشكرون من أسدى إليهم معروفاً ويحفظونه له ولو كان بسيطاً.

وفيما ذكرناه من أخبار جوده وكرمه كفاية تدل على منزلة في الجود والكرم، وأنه استحق أن يسمَّى: تيار الفرات؛ رضي الله عنه.

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٨٨-٤٩٠.

الفصل السادس
شيء من علمه والرواية عنه

توفي النبي ﷺ ولعبيد الله اثنتا عشرة سنة، فلم يروِ عن النبي ﷺ إلا اليسير جداً، وأكثر روايته عن أبيه العباس، وعن الصحابة، ولم يكثر عبيد الله من الرواية والفقه، لاشتغاله بالتجارة[1]، ويروى أنه قيل له: كم تطلب العلم؟ – يتعجبون من كثرة طلبه للعلم – فقال: إذا نشطت فهو لذتي، وإذا اغتممت فهو سلوتي[2].

وقد أخذ عنه العلم جماعة من علماء التابعين أشهرهم: ابنه عبدالله بن عبيد الله، وسليمان بن يسار، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين.

وخرّج له النسائي، وأحمد، والطبراني، وغيرهم.

وإليك أمثلة من روايته عن النبي ﷺ، وعن أبيه وعن الصحابة: أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن محمد بن سيرين عن عبيد الله بن عباس قال: **كنت رديف النبي ﷺ، فأتاه رجل فقال: يا نبي الله، إن أمّه عجوزٌ كبيرةٌ إن حزمها خشي أن يقتلها، وإن حملها لم تستمسك، فأمره، النبي ﷺ أن يحجَّ عنها.**

---

(١) انظر (تهذيب الكمال) للمزي ١٩/ ٦١.

(٢) (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٣٧/ ٤٩١.

وأخرج النسائي بسنده عن سليمان بن يسار، عن عبيد الله بن عباس قال: جاءت الغميصاء، أو الرُّميصاء[1] إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها وتزعم أنه لا يصل إليها، فما كان إلا يسيراً حتى جاء زوجها فزعم أنها كاذبة، وتريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال رسول الله ﷺ: « **ليس ذلك حتى يذوق عُسيلتَكِ زوجٌ غيره**»[2].

ومن روايته عن أبيه العباس رضي الله عنه ما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر ابن الخطاب فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذُبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صُبَّ ماءٌ بدم الفرخين فأصاب عمر وفيه دم الفرخين فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر، فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه، ثم جاء فصلَّى بالناس، فأتاه العباس، فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه النبي ﷺ، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لمّا صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس رضي الله عنه[3].

---

(١) الرميصاء، أو الغميصاء اسم امرأة.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الطلاق، باب: إحلال المطلقة ثلاثاً، حديث رقم (٣٣٦٠)، والإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١٧٤٠). ومعنى (يذوق عسيلتك) حصول الدخول من الزوج الثاني حتى تحلَّ المرأة المطلقة ثلاثاً للزوج الأول.

(٣) مسند الإمام أحمد رضي الله عنه حديث رقم (١٦٩٤).

ومن روايته عن أصحاب رسول الله ﷺ ما أخرجه البزار والطبراني في الأوسط عن عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي أبو ذر: يا بن أخي كنت مع رسول الله ﷺ آخذاً بيده، فقال لي: «**يا أبا ذر، ما أحبُّ أن لي أحداً ذهباً، وفضة أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت أدعُ منه قيراطاً**» قلت: يا رسول الله: قنطاراً، قال: «**يا أبا ذر أذهب إلى الأقل وتذهب إلى الأكثر، أريدُ الآخرة وتريد الدنيا؟ قيراطاً، فأعادها عليَّ ثلاث مرات**[1]».

ونكتفي بما ذكرناه من أمثلة على روايته رضي الله عنه وأرضاه.

(١) (مجمع الزوائد) للهيثمي، ١٠/ ٢٣٩. وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السابع
من أخبار أسرته

لم يذكر المؤرخون لعبيد الله من الزوجات سوى عائشة بنت عبد الله بن عبدالديَّان الخشمية. وبقية نسائه من الإماء.

وكان والد عائشة هذه صحابياً، وفد على النبي ﷺ في وفد الحارث بن كعب، فقال له: «من أنت» قال: أنا عبد الحجَر، قال: «أنت عبد الله» وأسلم[1]. وقد مرَّ معنا أن بسر بن أرطأة ذبح ولديهما قثماً، وعبد الرحمن، – لما وجهه معاوية إلى اليمن – ظلماً وعدواناً بغير حقٍ فتولهت، وأصابها من ذلك أمرٌ شديد، وصارت تنشد الشعر.

ولعبيد الله منها من الأولاد غير قثم وعبدالرحمن: محمد، وعباس، والعالية، وميمونة، وله من إمائه: عبد الله، وجعفر، وعمرة، ولبابة، وأم محمد[2].

وإليك بعضاً من أخبار أشهر أولاده، وأحفاده رضي الله عنهم:

١- عبد الله بن عبيد الله بن العباس:

من علماء التابعين، وفقهائهم، ورواة الأحاديث، وحديثه في السنن الأربعة، روى عن أبيه، وعمِّه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) (الاستيعاب) لابن عبد البر ٨/ ٩٤٣، و ٨/ ١٦٠.

(٢) (تهذيب الكمال) للمزي ١٩/ ٦٢.

وروى عنه أبو جهضم، موسى بن سالم، ويحيى بن سعيد الأنصاري ووثقه الأئمة أبو زرعة،والنسائي، وابن حبان[١].

٢- العباس بن عبيد الله بن العباس:

من علماء التابعين، وفقهائهم روى الحديث عن عمِّه الفضل بن العباس، وعن خالد بن يزيد بن معاوية، وغيرهما.

وروى عنه: أيوب السختياني، وعبد الملك بن جريج، ومحمد بن عمر ابن علي ابن أبي طالب، وخرَّج أحاديثه أبو داود و النسائي[٢].

٣- الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس:

من رواة الحديث، روى عن ربيعة بن عباد الديلي، عكرمة مولى ابن عباس، وكريب مولى ابن عباس.

وروى عنه: سفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك، وعبد الملك بن جريج، وخرَّج له ابن ماجة، والترمذي.

٤- محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس:

السيد، الجليل، كان مع بني العباس الذين خرجوا إلى الكوفة في أول أمر بني العباس قبل ظهور دولتهم.

---

(١) (تهذيب الكمال) للمزي ١٥/ ٢٥٣.

(٢) (تهذيب الكمال) للمزي ١٤/ ٢٣١.

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور معجباً به، وكان محمدٌ جواداً كريماً مثل جده عبيد الله، وكان يسأل المنصور قضاء حوائج الناس فيقضيها له، حتى أكثر عليه من الحوائج وأفرط، فأمر المنصور حاجبه الربيع أن يحجبه عن مجلسه فقعد في بيته أياماً، ثم إنَّ المنصور اشتاق إلى رؤيته ومحادثته، فقال: يا ربيع إن جميع لذَّات مولاك قد أخلقن عنده إلا لذته من محادثة محمد بن جعفر فإنها تتجدد عنه في كل يوم وليلة، وقد كدَّرها عليَّ بكثرة ما يحملني عليه من حوائج الناس، فاحتل لمولاك فيما كدَّر عليه من لذاته.

فقال الربيع: أفعل – إن شاء الله – يا أمير المؤمنين، وخرج من عنده فأتى محمد بن جعفر، فعاتبه على ما يحمل المنصور عليه من حوائج الناس، وسأله إعفاءه من ذلك، فعاهده على ترك ذلك، فأمره بالغدو على المنصور، ورجع إلى المنصور فأعلمه ذلك، ثم بلغ قوماً من قريش قدموا العراق لحوائجهم ما كان من أمر محمد بن جعفر ، ومن الربيع، وأنه سيغدو على المنصور، فكتبوا حوائجهم في رقاع ووقفوا بها على طريق محمد بن جعفر، فلما غدا يريد المنصور عرضوا له بها، وعرَّفوه بقراباتهم، وتوسلوا بأرحامهم، وسألوه إيصال رقاعهم، والتماس نجاح ما فيها، فاعتذر إليهم وسألهم أن يعفوه من ذلك، فألحوا عليه، فقال لست أكلِّم المنصور في حاجة لأحد من الناس فإن أحببتم أن تودعوا رقاعكم كمِّي فافعلوا، فقذفوا رقاعهم في كمِّه ومضى حتى دخل على المنصور، وهو في قصره مشرفٌ على مدينة السلام

ودجلة، فعاتبه، ثم حدَّثه ساعة، ثم قال له المنصور: ألا ترى حسن مستشرفنا هذا؟. قال: أرى يا أمير المؤمنين، فبارك الله لك فيما آتاك، وهنَّاك بإتمام النعمة عليك، فما بنت العرب في دولة الإسلام، ولا العجم في مدة الكفر مدينة أحصن ولا أحسن، ولا أجمع للخصال المحمودة منها، وقد حطَّ من قدرها في عيني خصلة. قال: وما هي؟

قال: ليس لي فيها ضيعة.

قال: فإني أحسِّنها في عينك بثلاث ضياع أقطعك في أكنافها.

فقال: أنت والله يا أمير المؤمنين سهل الموارد كريم المصادر، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، فقد بررت فأفضلت، ووصلت فأجزلت، وأنعمت فأسبغت، فبدرت الرقاع من كميه وهو يتشكر له، فأقبل يردُّهنَّ في كمه ويقول: ارجعن خاسئات، فضحك المنصور، وقال: بحق أمير المؤمنين عليك لما أخبرتني خبر هذه الرقاع، فأعلمه، فقال: أبيت يا ابن معلم الناس الخير إلا كرماً، ففِ للقيوم بضمانك، وألقها عن كميك لننظر في حوائجهم، فطرح الرقاع بين يديه، فتصفحها ثم دفعها إلى الربيع، ثم قال: قد قضى أمير المؤمنين حوائجهم[1].

(١) (تاريخ دمشق) لابن عساكر، ٥٢/ ٢١٣-٢١٦.

الخاتمة

وهكذا فقد كنَّا مع إمام من أئمة الهدى، ورجل قلَّ أن يجود الزمان بمثله من خريجي مدرسة رسول الله ﷺ العظماء ، الذين نالوا منه الشهادة العظمى وبذلوا ما في وسعهم لخدمة دينهم بأنفسهم وأموالهم رضي الله عنهم.

وقد رأينا كيف عاش عبيد الله حياته علماً، وفعلاً للخيرات، وقضاءً لحوائج الناس، حتى قضى عليه الأجل وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وخمسين، أو سبع وخمسين على أشهر الأقوال في خلافة معاوية رضي الله عنهم.

نسأل الله أن نكون قد وفقنا لعرض أخباره على شكل يليق بفضله ومنزلته رضي الله عنه، وعنَّا اللهم آمين.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

هـذا الـرجـل	.....	٥
المقـدمـة	.....	٧
الفـصـل الأول:	المنبت الطيب، والأصل الكريم	٩
	أولاً: العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٩
	ثانياً: أم الفضل الهلالية رضي الله عنها	١١
	إخوة عبيد الله بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعنهم	١٢
الفـصـل الثـاني:	ولادته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونشأته في رعاية النبي ﷺ	١٥
الفـصـل الثـالث:	أخباره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم	١٧
الفـصـل الرابع:	من أخبار عبيد الله مع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم	٢٣
الفـصـل الخـامس:	أخبار عبيد الله بن عباس في الجود والسخاء	٢٩
الفـصـل السـادس:	شيء من علمه والرواية عنه	٤٥
الفـصـل السـابع:	من أخبار أسرته	٤٩
الخـاتـمـة:	.....	٥٣

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

العبيكان
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٤

obeikandl.com